AFAQ LUGHAWIYYAH
© PENERBIT UNIVERSITI SULTAN ZAINAL ABIDIN
https://journal.unisza.edu.my/afaq
e-ISSN: 2990-9007

Jurnal Afaq Lughawiyyah
Universiti Sultan Zainal Abidin
مجلة آفاق لغوية - جامعة السلطان زين العابدين

تعليمية اللغة العربية وإشكالات المناهج التربوية : مضامين الكتاب المدرسي أنموذجا

[TEACHING OF ARABIC LANGUAGE AND ISSUES OF EDUCATIONAL SYLLABUS: THE CONTENTS OF THE TEXTBOOK AS CASE STUDY]

Dounia Lachhab

Sidi Mohamed Ben Abdellah University, Fes, Morocco

Corresponding Author: *douniaa114@gmail.com*

Received: 14/9/2023 *Accepted: 16/2/2024* *Published: 31/3/2024*

ملخص

لا سبيل إلى النهوض بتعليمية اللغة العربية – للناطقين بها وبغيرها – دون تسخير تطبيقات البحث العلمي، واستثمار الجهود البحثية الرصينة، وتطبيق المشاريع البيداغوجية، والمقاربات الحديثة، وتوظيف التطبيقات الإلكترونية المتنوعة. ولعل أهم أدوار البحث العلمي وتطبيقاته المتعددة تكمن في رصد التحديات وتدارس الرهانات، وتشخيص الإشكالات، وممارسة القليل من النقد الباني للاهتداء إلى الأمصال النافعة، وتجويد تعليمها وفق النموذج البيداغوجي الملائم الذي يحقق أهداف البرنامج التربوي والمشروع المجتمعي العام. تندرج هذه الورقة ضمن محور مشكلات وتحديات البحث العلمي في مجال تعليم اللغة العربية، وتهدف إلى تحديد بعض العراقيل التي تواجه المشتغلين بتعليم اللغة العربية، مع محاولة اقتراح بعض الحلول الممكنة، وتتخذ من مضامين الكتاب المدرسي والمناهج التربوية نموذجا لأهم هذه الإشكالات. حيث ستسعى إلى مساءلة الكتاب المدرسي الخاص بتعليمية اللغة العربية، بحكم تواجده في صميم العملية التعليمية التعلمية، وفي عمق العلاقة البيداغوجية، إلى أي حد يستجيب لمتطلبات المتعلم وانتظاراته المعرفية والتربوية والوجدانية؟ مع الحديث عن المأمول من الكتاب المدرسي واستشراف آفاقه الجديدة.

الكلمات المفتاحية: تعليمية اللغة العربية، المناهج التربوية، مضامين الكتاب المدرسي، الإشكالات والحلول

Abstract

The promotion of the learning of Arabic by both native and non-native speakers can't be reached without the use of scientific research applications, the investment of significant research efforts, the application

of pedagogical projects and the use of various electronical applications. In fact, the most important role of scientific research and its various applications resides in the challenges, identifying. The issues and applying a little constructive criticism so as to improve its learning according to the suitable pedagogical model that aims at realizing the objectives of the educational program and society's general project. This sheet of paper takes part of the challenges and issues that scientific research faces in the domain of teaching the Arabic language. It aims at identifying some of the difficulties that individuals who are working in the department of teaching Arabic face. It also suggests some possible solutions. And it takes from the contents of the textbook and educational curricula a model for the most important of these issues. As it seeks to question the Arabic language textbook by virtue of its presence at the heart of the educational learning process and in the depth of the pedagogical relationship, to what extent it responds to the learner's requirements as well as their cognitive, educational, and emotional expectations. With a discussion about the expected outcomes from the textbook and anticipating its new horizons.

***Keywords**: teaching Arabic, educational syllabuses, contents of the school book, problems and solution*

مقدمة

تحظى تعليمية اللغة العربية للناطقين بها بأهمية بالغة في البلاد العربية، فهي لسان التواصل والتخاطب، ولغة القرآن والدين، وكل أفانين القول والآداب، والفلسفة، والتاريخ، والقانون، وغيرها...، ناهيك عن كونها مرآة بلورية صقيلة تعكس معالم الهوية، وترسم تخوم الخارطة الثقافية التي تميزنا عن الأغيار. لاسيما والعالم اليوم يمور بالتقدم العلمي المتسارع، والتدفق المعلوماتي والإلكتروني، وينغمس حتى النخاع في تجليات العولمة، حتى أمسى مع كرور الأيام نماذج فكرية، وحياتية، متشابهة ومتكررة، لا تفرُّد فيها ولا أصالة. فقد ذهب أحد المفكرين إلى القول بأن ما يميز العالم اليوم "وقد اكتسحته التقنية هو غياب الاختلاف، أي سيادة التنميط والأحادية، إن الفكر غدا اليوم، ولأول مرة في التاريخ، فكرا كوكبيا كونيا، فما يطبع العالم اليوم هو انتشار موحد لنماذج التنمية والمخططات وتطور أدوات التواصل واكتساح الإعلاميات لكل الحقول وفرض لمفهوم جديد عن الزمنية (Abd Al-Salam bin Abd Aleali 2005). ومن تداعيات هذا التنميط حسب رأيه، أن الكونية أضحت بدون هوية "بل إنها هي التي تحدد اليوم كل هوية، على هذا النحو يغدو الانخراط فيها أو عدم الانخراط ليس وليد قرار إرادي يتخذه فاعل سيكولوجي أو هوية ثقافية، وإنما هو قدر تاريخي يرمي بإنسان اليوم في الكون وبالفكر في الكونية (Abd Al-Salam Bin Abd Aleali 2005).

لا محالة إذن والحال هكذا، من البحث عن أسباب التفرد الهوياتي، والحفاظ على الخصوصيات الثقافية، حتى لا نذوب ونتحلل في الجماعاتي الكوني، دون أن يعني هذا التقوقع حول الأنا، والانعزال الذاتي، بل العمل الدؤوب على تأسيس ثقافة العيش المشترك، والإيمان بالتلاقح والتعايش في ظل حوار كوني للثقافات، ينفتح على القيم الإنسانية، ويستوعب مبادئ التجديد

والتفاعل الحضاري، ويطمح إلى تحقيق الحداثة الحقيقية، والتنمية الشاملة، مع الحفاظ في الآن نفسه على فوارقنا الثقافية، وهوياتنا المتباينة.

ولعل الاعتناء بلغتنا وتجويد تعليمها من أولى الأولويات وأوكدها، فهي أَأْمن خط دفاع يحصن كياننا ويفض أعقد مشكلاتنا الثقافية، ويحقق بالتالي أمننا اللغوي. وتعتبر المؤسسة التعليمية القناة النظامية الأولى، والفضاء المؤسساتي الرسمي لتعليم اللغة العربية، التي لابد من الاعتراف بشموخها، وكثرة قواعدها، ووعورة نحوها، وأقيسة بلاغتها، وتفريعات عروضها، وتعدد ضروب مصطلحاتها، ومشتقاتها ومرادفاتها، وتشعب معانيها اللغوية والاصطلاحية...، وحتى الذين بلغوا شأوا في تحصيلها، مازال يعوزهم الإلمام بقواعدها، والمكنة من تصريفها، فهي بحر في أحشائه الدر كامن، على حد تعبير شاعر النيل حافظ إبراهيم.

مشكلة البحث

تواجه المنظومة التعليمية بشكل عام في البلاد العربية إشكالات عميقة، وصعوبات متعددة على مستويات عدة، من مُسْفِراتها احتلال بعض الدول العربية مراتب غير مرضية في الترتيب العالمي لمستوى التعليم. وبالرغم من صدح بعض الأصوات بشعارات الإصلاح هنا وهناك، إلا أنه ما زال يعاني من بعض الإرباك، والندوب، والرضوض، لأنه في كثير من الأحيان يكمن في استيراد نماذج ناجحة في مجتمع معين، متفوق ماديا وفكريا، إلى مجتمع آخر له خصوصياته الفكرية، والاجتماعية المغايرة.

الأمر الذي يتطلب الانطلاق من واقعنا العربي وإدراك مكوناته بشكل كلي، لإنتاج نموذج لائق بنا، يحصن هويتنا، ويراعي إمكاناتنا الراهنة وحاجاتنا المستقبلية، وينسجم مع سياقنا التاريخي والاجتماعي. والوصول إلى هذا النموذج التربوي وتنزيله إلى أرض الواقع يحتاج بذل الجهد واهْتِبَال المزيد من العمل، والوعي، والنقد، والتجديد، والإبداع...، كما يلزم إعادة النظر بشكل جذري في مناهج وبرامج المنظومة التربوية، وأساليب ترجمتها في الممارسة الصفية، وتحديد مواصفات مضامين المقررات، والكتب المدرسية الكفيلة بتحقيق ذلك، مع دقة صياغة الأهداف، ووَضْع الاستراتيجيات. وحسبنا منها أنموذج مضامين كتاب تعليمية اللغة العربية ما دام السياق يفرض الاقتصار عليه.

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في رصد بعض مشكلات تعليم اللغة العربية، وتهدف إلى تحديد بعض العراقيل التي تواجه المشتغلين بتعليمها، مع محاولة اقتراح الحلول الممكنة، وتتخذ من مضامين الكتاب المدرسي والمناهج التربوية نموذجا لأهم هذه الإشكالات. حيث تسعى إلى مساءلة الكتاب المدرسي

الخاص بتعليمية اللغة العربية، بحكم تواجده في صميم العملية التعليمية التعلمية، وفي عمق العلاقة البيداغوجية، إلى أي حد يستجيب لمتطلبات المتعلم وانتظاراته المعرفية والتربوية والوجدانية؟ مع الحديث عن المأمول من الكتاب المدرسي واستشراف آفاقه الجديدة.

فلا سبيل إلى النهوض بتعليمية اللغة العربية دون تسخير تطبيقات البحث العلمي، واستثمار الجهود البحثية الرصينة، وتطبيق المشاريع البيداغوجية، والمقاربات الحديثة، وتوظيف التطبيقات الإلكترونية المتنوعة. ولعل أهم أدوار البحث العلمي وتطبيقاته المتعددة تكمن في رصد التحديات، وتدارس الرهانات، وتشخيص الإشكالات، وممارسة القليل من النقد الباني للاهتداء إلى الأمصال النافعة، وتجويد تعليمها وفق النموذج البيداغوجي الملائم الذي يحقق أهداف البرنامج التربوي والمجتمعي العام .

إن تبني أي نموذج بيداغوجي ناجع لا يستقيم دون اعتماد مقاربات كفيلة بتنفيذه، وأجرأة أهدافه، وترجمتها بشكل فعلي على أرض الواقع، لذلك بات الحديث عن المقاربات البيداغوجية الجديدة وتنويعها محط اهتمام الأدبيات التربوية الحالية، فهي القمينة بتنفيذ المناهج والبرامج، وتدبير عمليات التدريس، وأنشطة التعلم بما يستجيب لمقتضيات المشروع المجتمعي الكبير الساعي إلى "تحقيق الانفتاح على مستجدات العصر، والتمكن من المعارف والمناهج، والثقافة، والقيم الكونية" (al-Majlis al'Aelaa Liltarbiat Waltakwin Walbahth Aleilmi, 2005)، فلا شك أن الساحة التربوية تعج بأنماط مقاربات متنوعة، تتدثر بدثار الجدة، لابد من استثمارها وتوظيفها التوظيف الأمثل في تعليمية اللغة العربية، لتنهض بدور تطوير الممارسات البيداغوجية، ارتقاءً بوظائفها، وضمانا لجودة تعلّماتها. وأهمية هذا البحث ستكمن في رصد مدى تمثل مناهجنا التربوية لهذه المقارباتّ، وحرصها على أجرأتها عبر مضامين الكتاب المدرسي وأنشطته.

أسئلة البحث

تروم هذه الورقة البحثية مساءلة الكتاب المدرسي الخاص بتعليمية اللغة العربية، بحكم تواجده في صميم العملية التعليمية التعلمية، وفي عمق العلاقة البيداغوجية. إلى أي حد يستجيب لمتطلبات متعلم القرن الواحد والعشرين؟ وما إشكالات مضامينه ومقرراته؟ هل يعزى نفور المتعلمين منه إلى جمود مضامينه وركود مقرراته الدراسية المتقادمة التي لا تعرف التحيين المتواصل، أم إلى انغلاق مضامين كل مادة دراسية على نفسها وعدم انفتاح المواد على بعضها البعض؟ هل تلائم طموحاتهم المستقبلية وانتظاراتهم المعرفية والوجدانية، وتساير إيقاع حياتهم المتجدد؟ ما المأمول من كتب تعليم اللغة العربية، ومواصفات جودتها؟ وأخيرا ما موقعه ضمن الدينامية المتجددة التي يعرفها ميدان التكنولوجيا والانفجار المعلوماتي؟

منهج البحث

حتم موضوع البحث وطبيعته الإشكالية اتباع المنهج الوصفي التحليلي، الذي سيمكن من وصف واقع تعليم اللغة العربية، وتتبع مضامين كتبها وما تطرح من مشاكل وتواجه من صعوبات، حيث اهتم البحث، بعد مقدمة، ومِهَاد مقتضب يُعرّف بالكتاب المدرسي، وبدوره ضمن الوسائط المدرسية المتنوعة، برصد بعض إشكالات مضامين الكتاب المدرسي الخاص بتعليمية اللغة العربية، وجعل من التجربة المغربية أرضية لاستمداد هذه الإشكالات وتشخيصها، والتنبيه إلى بعض القضايا العلمية والتربوية المرتبطة بها، كما اهتم بالحديث عن المأمول من الكتاب المدرسي واستشراف آفاقه الجديدة، وقفتهم جميعا خاتمة وتوصيات.

أولا: الكتاب المدرسي وأهميته ضمن الوسائط المدرسية

يعد الكتاب المدرسي وسيلة من الوسائل التعليمية المعتمدة في المنظومات التعليمية، يساعد المتعلم على تنمية معارفه، وإثراء تعلّماته، يحتل المرتبة الأولى ضمن الوسائط التعليمية المساعدة، وهو أقدمها على الإطلاق، يشغل بؤرة اهتمام المعلّمين والمتعلمين على حد سواء، فهو عبارة عن "مؤلف ديداكتيكي، يقدّم في حجم سهل الاستعمال، المبادئ الأساسية الخاصة بالمعارف التي تفرضها البرامج الدراسية (Al-Farabi, 1992). يكتنه الحد الأدنى من المعلومات التي يجب أن يكتسبها المتعلم في مرحلة ما، ويتمثلها تمثلا سليما، يُرفق بمجموعة من الأنشطة والإنجازات والتطبيقات التي يقوم بها المتعلمون، وفق إطار عملي ومنهجي يستجيب لأهداف الاستراتيجية التعليمية المحددة سلفا. وبغض النظر عن فحواه يُعد "أهم وسيلة ديداكتيكية وأخطرها على الإطلاق، فهو التجسيد الفعلي للمرامي والأهداف، به يتحقق التعلم المنشود...، ولذلك ظل مُهاب الجانب إلى درجة التقديس" (Dibun, 2004). فهو وإن كان وسيلة وُضعت في الأساس لمساعدة المتعلم على استيعاب المحتوى التعليمي على نحو من التنظيم، والتبويب، وفق منهجية موسومة بالدقة والملاءمة لحاجات المتعلمين السيكولوجية والبيداغوجية...، فضلا عن مراعاة أعمارهم وقدراتهم المعرفية والذكائية والعقلية، ومستويات نموهم، إلا أنه مع ذلك يبقى مكونا رئيسا من مكونات المنهاج التعليمي، الذي له أهدافه ومراميه المنشودةُ التحقيقِ، وما الكتاب المدرسي سوى مكون من مكوناته، وأداة - إلى جانب أدوات أخرى – مسخرة لبلوغ أهدافه التربوية والتعليمية المسطرة سلفا، إنه باختصار "الوجه التطبيقي لما جاء في المنهاج من أهداف، ومحتوى، وأنشطة، وتقويم "(Aashur, 2004).

وأما عن أهميته ضمن باقي الوسائط التعليمية، والوسائل التربوية المساعدة الأخرى فتكمن في اعتباره وِعاءً توظف ضمنه محتويات أخرى متعددة نحو: النصوص باختلاف أجناسها ومشاربها، والجداول، والبيانات، والرسوم، والصور، والوثائق...، مما يبوِّئُه ريّادةً تكفل له

الصمود، ومهابة الجانب. علاوة على تمركزه في صميم العملية التربوية، يسايرها عن كثب باختزال المعارف التي ينبغي أن يكتسبها المتعلم ويواكبها، ليكون بذلك الرفيق اليومي الذي لا تكاد تخلو محفظة متعلم منه، لذلك استنفذت معظم التآليف المدرسية جهودا من قبل خبراء، وفنيين في النشر والإخراج، ناهيك عما خضعت له من "معايير ومقاييس اجتماعية سيكولوجية، خلال عملية اختيار النصوص وبنائها وترتيبها وتصنيفها ومعالجتها لغويا وفكريا وصرفيا" (Al-Mir & Al-Qasimi, 2000)، وهو فوق هذا وذاك "فرضية لتصريف المنهاج الرسمي" (A Group of Authors . al-Dalil Albaydaghuji Liltaelim Aliabtiday, 2009)، المُتبنى من طرف الجهات المسؤولة.

ثانيا: بعض إشكالات مضامين الكتاب المدرسي، التجربة المغربية أنموذجا

لا يخرج الكتاب المدرسي إلى الوجود إلا بعد احترامه لمجموعة من الشروط العلمية، والبيداغوجية، والنفسية الوجدانية، والمنهجية (Al-Khoury, 2021).

وكذلك المواصفات البيداغوجية والمعايير التقنية، استنادا إلى دفتر التحملات الذي تضعه الجهات الوصية على القطاع. ولا ننكر الجهود المبذولة من طرف المؤلفين ولجان المتابعة والتحسين المستمر لمضامين الكتب وتجويد إخراجها، إلا أنه مع ذلك يمكن رصد بعض الملاحظات المتعلقة بها، وإذا كان المقام لا يتضح إلا بالمثال، فلْنَسُقْ تمثيلا على ذلك بتخصيص الحديث عن بعض نماذج الكتب المدرسية الخاصة بتعليم اللغة العربية، حيث سنقصر القول فيها على مستوى المضامين، نظرا لأهميتها في تشكيل الوعي، وتأثيث الفكر، وملء الجُعب بما يكفل بناء نماذج خلاقة، قادرة على تلقُّفِّ مشعل البناء، وتنمية المجتمع غدا .

فكما هو معلوم يُستلزم في الكتاب المدرسي المُوجّه إلى فئة هشة، طيّعة – قابلة للتشكيل وفق النموذج الفكري الذي تفتقت مداركُها عليه، وتشرَّبهُ وجدانُها – أن يضُمَّ مضامين منتقاة بعناية متناهية، موسومة بالحداثة، والتنوير، والعقلانية، مواكبة لمستجدات العصر، معززة للقيم الأخلاقية، والفنية، والجمالية، والإنسانية، مهيجة للملكات، صاقلة للمواهب. والحال أن الكتاب المدرسي يسعى جاهدا لتحقيق هذه المرامي، بيد أن الحال لا يسلم من إبداء بعض الملاحظات. إذ من بين الإشكالات التي يمكن سوقها في هذا المقام، نذكر :

أ – جمود وركود مضامين بعض المقررات المدرسية.

تظل بعض المضامين رَدْحا من الزمن دون أن تعرف حركية أو تغييرا أو تجديدا، تتناقلها الأجيال، سنين عدة قد تصل إلى ما يفوق سبع عشْرة سنة في بعض الأسلاك دون تبدّل أو تجدّد، رغم أن العالم حولنا يتغير باستمرار عجيب، وسرعة فائقة، "مما يؤثر سلبا على المكتسبات المعرفية

والمهارية للأجيال العديدة المتلاحقة من التلميذات والتلاميذ خلال مساراتهم الدراسية، وهذا يؤدي من جهته إلى تعميق الهوة بين المعرفة المدرسية المطلقة والثابتة وبين واقع الحياة العملية المتغير والمتحول " (Ministry of National Education and Higher Education and Training of Cadres and Scientific Research, 2006) إن الاتساق بين ما يُلَقَّن وبين الواقع الراهن ضرورة حتمية، تقتضيها طبيعة العصر الذي نعيشه، والذي يعج بالتطور العلمي، والانفجار المعرفي، والإنسان بطل التغيير لا يبقى قابعا في مكانه بل يفكر، ويجدد، ويبتكر باستمرار دون هوادة، فما إن تظهر مثلا تقنية تكنولوجية جديدة في الأسواق العالمية حتى تتقادم بعد فترة وجيزة، لتعْقُبَها تقنية أخرى أكثر جدّة وفعالية، ومضامين الكتاب المدرسي تبقى في صيغتها المحنّطة، في حيدة عن الزمن المتغير، تتعاقب على تلقّيها أجيالا متوالية .

لابد أن نعترف بأن للمتعلم خصوصياتٍ نوعيةً، تقتضي تحيين المضامين كل ثلاث سنوات أو أربع، وتعديلها بما ينسجم مع سمات العصر، وتحولات المجتمع، وبما يلبي له حاجاته الفكرية ويشبع نَهَمه المعرفي، ويساير متطلبات المناهج (تتكون المناهج من أربعة عناصر أساسية هي: المحتوى التعليمي، والأهداف، والطرق التدريسية، والأساليب المعتمدة في التدريس). ولا نكون مبالغين إذا قلنا بأن تنميط المضامين المدرسية يخلق العزوف ويبيد المتعة، فلا ننتظر من متعلم القرن الواحد والعشرين أن يستلذ بمواضيع ومحاور تقادم عهدها، واستنفذت بحثا وتنقيبا، وأصابها البِلاء، كالحديث عن قضية عمل المرأة ومساهمتها في الاقتصاد الوطني مثلا وتنظيم الأسرة، وغيرها من المواضيع التي تُجُوِّزَت. إن هذا النوع من المضامين يخلق نوعا من القطيعة والإرباك وعدم إشباع الرغبات، فيؤدي بالنهاية إلى الاستكانة للخمول، أو صرف الوكد في العزوف.

فما هو متجاوز أو رتيب من المضامين لا يُحرِّكُ في المتعلم غريزة، ولا يوقظ فيه شعورا، ولا يهيّج جذوة الابتكار القابعة بداخله، يلزم إعادة النظر فيها بعمق لتحقيق الاتساق والتناغم بينها وبين الدينامية المجتمعية المتقدمة. كما ينبغي نثر بذور الجدّة والتحديث على الاختيارات التربوية والبيداغوجية، وإخراجها في صيغ جديدة تساير متطلبات البرامج والمناهج التعليمة من جهة، ومتطلبات العصر وحاجات المتعلم من جهة أخرى. ولن يتأتى ذلك إلا بالمواكبة المنتظمة والمدروسة لمستجدات العصر وتبني مشروع التعديل والإصلاح المتجدد، مع "تشجيع البحث العلمي والدراسات التربوية الرصينة لتطوير الممارسات البيداغوجية وتنمية آفاق التدريس، مضامين وطرائق وأدوات، وتتبع مختلف العمليات المرتبطة بالتأليف المدرسي وبإخراج الكتب المدرسية تتبعا إداريا وتنظيميا، تتبعا يعتمد الملاحظة العلمية والرصد التربوي (Ministry of National Education and Higher Education and Training of Cadres and Scientific Research, 2006)، وبناء كل البدائل المعدلة والاقتراحات المستشرفة لآفاق أرحب على أساس علمي رصين ومبدع في الآن نفسه.

ب – انغلاق مضامين المادة الدراسية على نفسها.

تعاني مضامين الكتب المدرسية من طغيان التخصص الضيق للمادة المدرسية وتهديم وشائج الصلة بين المواد المختلفة، فالمضامين لا تنفتح على بعضها البعض، لتتكامل وتُفضي إلى تحقيق معرفة عالمة مندغمة، بل كل مادة تتقوقع حول ذاتها وتشق طريقها الخاص الذي قلما يتقاطع مع تخصص آخر، بل وكل سلك تعليمي يعلن القطيعة مع الآخر. ولهذا تأثيره السلبي على المتعلم الذي يتلقى المعارف بشكل اجتزائي يفتقد اللحمة وبالتالي يَعْسُر عليه الاستيعاب الشامل، والتمثل الكلي للمعارف، ويجعل استمرارية المادة الدراسية عبر المسار الدراسي للمتعلم "رغم تواجدها القوي أمامهم في الفصول وفي الكتب المدرسية، لا تنعكس فعليا في التحصيل المفروض تراكمه، وتبقى استمرارية شكلية وبدون امتلاء معرفي وتربوي وبيداغوجي، وهذا يخلق قطائع حتمية بين كل مستوى دراسي وآخر وكل مادة وأخرى (Ministry of National Education and Higher Education and Training of Cadres and Scientific Research, 2006). " وربما هذا ما يفسر إقدام بعض المتعلمين على التخلص من كتبهم بعد تحقق النجاح، أو تمزيقها بعد اجتياز الامتحانات في نهاية السنة، دون أي اكتراث لأهميتها فيما سيُسْتقبل من الزمن، وذلك ليقينهم بانغلاق كل مادة على نفسها، وكل سلك على آخر، وبالتالي انتهاء صلاحيتها. مما يستدعي إقامة علاقة ترابط بين المواد والأسلاك الدراسية، وإنشاء جسور عامرة بالاتصال، لأن التكامل بين المواد المدرسية يفضي بالنهاية إلى التكامل بين المعارف، وبين الحياة الموجودة خارج أسوار المدرسة، فيحدث بذلك التوازن بين المضامين المدرسية والحياة الواقعية، والعملية المستقبلية. والأمر نفسه ينطبق على تعليم اللغة العربية التي ينبغي أن تنفتح مضامينها على غيرها من المواد وتتكامل، بل وتكون أساس دراسة العلوم المتنوعة، ولغة تدريسها وتآليفها أيضا، وعدم قصرها على الآداب، حتى لا تبلغ الجراءة بأحد مبلغ الاعتقاد بأن اللغة العربية لا تصلح إلا لدراسة الآداب فقط، وقد تنبه إلى ذلك المفكر عبد الله كنون حين قال: "إن لغتنا تسير مع نهضتنا جنبا إلى جنب، وإننا لا نتقدم خطوة في سبيل التطور الفكري والعلمي إلا وتكون اللغة أمامنا آخذة بزمامنا لا نفتقدها في مرحلة ولا مجال(Kanoun, 1986)، فلابد من تأكيد صلاحية تداولها اللغوي في كل المجالات العلمية قبل الأدبية، وترسيخ فكرة قدرتها على مجاراة التطور العلمي والتكنلوجي الهائل الذي يعيشه العصر، ولا سبيل إلى ذلك إلا بتعميم تدريس العلوم بها .

ج – مقاربة حضور المرأة في نصوص تعليم اللغة العربية.

للمرأة اليوم حضور قوي، ونافذ في الحياة المجتمعية باختلاف محاقلاتها ومجالاتها، حاضرة بوزنها الإنساني، والعلمي، والثقافي، والسياسي، والفني... تشارك في البناء الأسري، وتحقق النماء الاقتصادي، والرقي المجتمعي. بيد أن حضورها في مضامين ونصوص بعض كتب تعليم اللغة العربية يشوبه نوع من التمثل السَّلبي لها من حيث الكيان والأدوار والمهام داخل المجتمع، فلو

تصفحنا بعض النصوص لوجدناها ترسم صورة سلبية عن المرأة، وذلك بتكريس أحكام نمطية تقليدية عنها، حيث تسمها بصفات تتأرجح بين الحنو والضعف والخوف، والسذاجة والجهل، والغلبة على أمرها، والخضوع لسلطة الرجل أو التقاليد أو المجتمع، ومن أمثلة ذلك ما ورد في أحد النصوص الموجهة للسلك الثانوي الإعدادي يقول النص: "احتمى الأطفال بأمهم، ووقفت هي كالمتهمة، فكَوَّرَ القميص ورماه على وجهها. امتقعت وارتعدت .(A Group of Authors) "... Murshidi fi al-Lughat al-Earabiat, 2005-2006، لا ننكر أن هذا النص يعكس صورا مجتمعية موجودة في الواقع، وأنه يكتنه رسالة، ويجسد موقفا اجتماعيا، وأخلاقيا، وحقوقيا، لاسيما وأنه نص مقتطف من رواية (عام الفيل) للكاتبة المغربية المعاصرة ليلى أبو زيد التي سخرت قلمها للاهتمام بقضايا المرأة والمجتمع، إلا أنه مع ذلك يترك لدى المتلقي (المتعلم) انطباعا سلبيا عن المرأة فيتصورها كائنا ضعيفا مقهورا، يُمارَس عليه العنف المادي والمعنوي، مهضوم الحقوق، لا يُكترثُ بإنسانيته.

نص آخر يشهد على تكريس هذه الصورة النمطية للمرأة للكاتب عبد الكريم غلاب يقول فيه: "واصطدمت فاطمة أمّ عليّ وهي عائدة إلى المنزل بصَبِيَّة تحمل سطل ماء تكشّف عنها المنعرج. كانت الصبية تحمل الماء من بيت الجيران فتزحلقت، وانكب السطل، وتطاير رشاشه يصيب القادمين والرّائحين. تمايلت فاطمة حتى كادت تسقط لولا أنها تماسكت وهي تُمسك بآجُرَّة الجدار النّاتئة، ولم تكن تخشى أن تقع أرضا بمقدار ما كانت تخشى أن يقع صحن تحمله في حذر على كفها اليسرى، فيه صُبّة من أكل تغطيه خبزة مستديرة هي جزاؤها، بعد الأجر البسيط، على استمرارها في غسل الثياب حتى ساعة متأخرة من المساء Murshidi (A Group of Authors" fi Allughat Alearabiat, 2005-2006).

سنكون مُجانبين للصواب إذا أنكرنا بأن النص يقدم صورة مطابقة لما يحدث في دهاليز الحياة اليومية المستمدة من صميم الواقع، صورة المرأة الصبورة، المكافحة، العاملة، الناكرة لذاتها، المقهورة... وضرائر هذا النموذج في المجتمع العميق كُثرٌ لا محالة، إلا أنه مع ذلك يساهم بشكل أو بآخر في ترسيخ صورة معينة عن المرأة موسومة بالإحباط، والقهر والسلبية، تؤهل المتعلم للاستئناس بهذا النموذج وبالتالي قَبُوله .

في حين نجد صورة الرجل مختلفة تماما حيث ينعت بصفات إيجابية من قبيل: القوة، والاتزان، الاحترام، والثبات، السلطة، والسيادة...، ونمثل لها بالنص الآتي، للكاتب أحمد عبد الملك الخليجي العربي، المنفتح على قضايا تحديث المجتمع وتطويره، يقول في وصف أحد شخصياته المضطلعة بدور رئيس في تحريك الأحداث: "دخل الفرّاش بالجرائد اليومية، شكره ونحاها أسفل المكتب ليقرأها بالمنزل. انتهى وقت الدّوام، وخرج من مكتبه، وعلى سُلّم المبنى تقابل مع أحد الموظفين الذي حاول أن يستميله في حديث عن زميل آخر. لكنه اعتذر بعدم معرفته بالموضوع،

ونزل درجات السّلّم، قابل مجموعة من الموظفين عند باب الخروج، فتحدث إليهم بكل احترام ورزانة، نزل المدير فإذا بالموظفين يتوددون إليه بكلمات منمّقة، لكن صاحبنا حيّاه باحترام وتنحّى بكل قوة وثبات-A Group of Authors, Murshidi fi Allughat Alearabia, 2005)" (2006، لاشك أن هذه السلوكات المَدَنِيَّة الراقية كانت من نصيب الرجل.

إن هذا التناول لصورة المرأة في المضامين المدرسية يُعطِّل كفاءتها، ويبخسها مكانتها الاعتبارية داخل المجتمع في أذهان المتعلمين، فيكرس في تمثلاتهم أن المرأة كائن مستضعف لا يصلح إلا لرعاية البيت والأطفال، وخدمة الأسرة بتفان ونشاط. ينبغي أن ترقى مضامين نصوص تعليم اللغة العربية إلى مستوى الهواجس الفكرية للمرأة، وهمومها الرسالية الإصلاحية، وانشغالاتها المصيرية. فتقدم نماذج للمرأة الأنثى، القوية، الناجحة، المثابرة وهي تتقلد مناصب سامية، وتضطلع بأدوار حساسة في أجهزة الدولة، وبناء الأسرة والمجتمع، صور ترقى إلى مستوى التطلعات فتكون صُوىً مضيئة للمتعلمين على طريق الاقتداء والنجاح.

ولا بد أن نشير في هذا المقام إلى ما تلعبه الصور المرافقة لبعض النصوص من دور، في مؤازرة هذه الأخيرة في تكريس هذه الصورة الرتيبة عن المرأة. فضلا عن الحضور الخجول للإبداعات والمساهمات الفكرية النسائية في الكتاب المدرسي فقلما نجد نصا من توقيع أديبة، أو شاعرة، أو ناقدة، أو مفكرة، وتبقى الهيمنة للأقلام الذكورية .

إن تجويد صور حضور المرأة في كتب تعليم اللغة العربية هو تجويد لمضامينها وترقية لفكرها وبناء لعقول أبنائها، ف"مستقبل اللغة العربية يتوقف على مستقبل الفكر المبدع الكائن – أو غير الكائن – في مجموع الأمم التي تتكلم اللغة العربية. فإن كان ذلك الفكر موجودا كان مستقبل اللغة عظيما كماضيها، وإن كان غير موجود فمستقبلها سيكون كحاضر شقيقتها السريانية والعبرانية(Gibran, 2013)"، حسب رأي جبران خليل جبران.

ثالثا: المأمول من كتب تعليم اللغة العربية

يتحتم علينا الاعتناء بتحسين مواصفات مضامين كتب تعليم اللغة العربية، بما يساير التطور الحتمي للعصر، ويتناسب "مع فلسفة التنويع والاختلاف والتعدد بتقديم أنشطة ومحتويات تتلاءم مع مستويات التلاميذ المختلفة والمتعددة قوة وضعفا .(Bosana & Sherifi, 2020)" ويواكب المتغيرات المجتمعية، ويستوعبها ويتناغم مع الانفجار المعرفي الهائل. والتنبه إلى عدم تكريس فحوى مقولة أحد الباحثين: "إن مستقبل الأمة العربية قد سبقها مما يجرّ إلى التغني بأمجاد الماضي، دون الاهتمام الجدي بحاضرنا ومآلنا .(Al-Qabaji, 1997) "مع تأصيل القيم، وغرس المثل، وتبجيل الرموز الدينية، والوطنية، والقومية، والإنسانية، وصيانة الهوية، واحترام

التراث، والتأليف بين الأصالة والمعاصرة. وأن يُنتج لنا نموذج المتعلم المواطن الذي "لا يجد تضادا بين هويّاته الدينية والقومية والإنسانية، بل يتعايش مع جميعها في وئام (Fakhr, 2008)".

تعديل المضامين وتحيينها بما يلبي احتياجات المتعلم والعصر، ويستحضر مبادئ حقوق الإنسان، ويعزز مبادئ العيش المشترك، والمساواة والتسامح والكرامة وحرية التعبير والحوار الحضاري...، مما يُكسب ثقافة إنسانية تجعل المتعلمين متشبعين بمبادئ كونية ترقى بهم إلى قبول الآخر وتدبير الاختلاف.

نأمل من واضعي كتب تعليم اللغة العربية أيضا التنبه إلى التراكم المعرفي والمهاري، ونثر بدور الإبداع على روح هذه اللغة الشامخة ونبذ المقاربات التقليدية مع تحرِّي استراتيجية الاقتصاد في الكم، والبذخ في الكيف، وانتقاء مضامين حيوية دينامية تحلّق بناشئتنا إلى ذرى الفكرة الهادية البانية المتحررة المُكتنهة لمرجعيات فكرية معتدلة قويمة تزرع في طريقهم معالم الاهتداء. ولا تجعل "من المتعلم آلة مبرمجة لا تعي إلا صياغة الأهداف وتنفيذها ضمن سياقات متقطعة وغير متوافقة مع حاجات الإنسان وتطلعاته وطموحاته(Bouziani, 2022)".

ولكل ما سبق نوصي بتجويد مواصفات الكتب المدرسية الخاصة بتعليم اللغة العربية، و"إدماج معايير جودة أفضل وأشمل وتحديد فحواها بشكل أدق .

- عدد من المؤلفين لا يتوفرون على التكوين الكافي لتأدية دورهم كمبدعين بيداغوجيين للكتب المدرسية، ومن هنا تأتي ضرورة تحديد مواصفاتهم وحاجاتهم التكوينية (Ministry of National Education and Higher Education and Training of Cadres and Scientific Research. 2006)"، وإحاطتهم بالاهتمام وإخضاعهم للتكوين المستمر.

- تشجيع الدراسات التربوية الهادفة، وتثمين البحث العلمي الرصين، واستثمار تطبيقاته المختلفة في خدمة اللغة العربية السامقة، لغة القرآن والعروبة والحضارة.

خاتمة

وفي الختام لابد من تثمين الجهود الجبارة والمتواصلة التي تُبذل من أجل إخراج كتب مدرسية جديرة بتعليم اللغة العربية وبمتعلم القرن الواحد والعشرين، إلا أن امتطاء درجة الكمال لا يبلغُها أحد لأنها من صفات الله وحده، كما أن ممارسة القليل من النقد الذاتي بين الفينة والأخرى أمر لا مناص منه، وليس من وكدنا في هذه الورقة تصيّد الهفوة أو عدّها، وإنما بغيتنا البحث عن أسباب تحقيق إصلاح لغوي بيداغوجي حق، يقيل العثرات، ويجتلب الأمصال النافعة، لترتقي لغتنا العربية المجيدة بأدائها، وتحقق الرهان المنشود.

REFERENCES

Isabelle Abdullah, Al Khoury. (2021). Maeayir Jawdat al-Kutaab al-Madrasii al-Lubnanii. *Majalat Dirasat Jamieiat fi Aladab Waleulum al-'Iinsania*. Lebanon: Issue 7.

Bosana Fatima & Sherifi Hanaa. (2020). Soaubat Tatbik al-Bidaghoujiya al-Farikiya fi al-Tadriss bi al-Mokaraba bi al-Kafaat. *Majalat Atarbiya wa Asiha Anafsiya*. 5(2).

Gibran Khalil Gibran. (2013). al-Bada'i' wa al-Tara'iq. *Kalimat Earabiat Liltibaeat wa Lnashr*. Cairo. Egypt.

A Group of Authors. (2009). *al-Dalil al-Baydaghuji Liltaelim al-Iabtidayi*. Approved by the Ministry of National Education and Higher Education. Morocco.

Khaled Al-Mir & Idriss Al-Qasimi. (2000). *Didaktik Tadris al-Qira'at bi al-Silk Al'awal min al-Taelim Al'asasi: Silsilat Altakwin Altarbwi*. Matbaeat Alnajah Aljadida. altabeat al'ouwla.

Ratib Aashur. (2004). *al-Manahij bayn al-Nazariat wa al-Tatbiqi*. Jordan: Dar al-Masirat li al-Nashr wa al-Tawzi'.

Aicha Bouziani. (2022). 'Iishkaliat al-Manahih wa Waqie al-Aintiqal min Bidaghujia Tadris Almanahij bi Allughat al-Earabiat fi al-Taelim al'Iibtidayi wifqa al'Ahdaf 'iila Altadris wifqa Almuqarabat Bial-kifayat. *Majalat al-Eulum al-Aijtimaeiat*. 16(2).

Abd Alsalam bin abd Aleali. (2005). *Dida al-Raahin*. Dar Tubqal Lilnashr.

Dibun Abd Al-Fataah. (2004). *Khudeat Bidaghujya al-Kifayat*. Manshurat Hulul Tarbawiat.

Abdl Latif Al-Farabi. (1992*). al-Aramij Walmanahij min al-Hadaf 'iilaa al-Nasaq*. Morocco: Silsilat Eulum Altarbiat. Volume 4. Dar Alkhatabii.

Abdullah Kanoun. (1986). '*Ashdha' wa 'Anda'u*. Matabie al-Bughaz. Tangier – Morocco.

Ali Mohammed Fakhr. (2008). *Al-Taelim fi al-Watan al-Earabii wa Leawlamat*. Skhirat: Al-Untadaa Al-Earabi Liltarbiat Waltaelim.

A Group of Authors. (2005-2006). *Murshidi fi al-Lughat al-Earabiat*. al-Sanat al-Thaalithat min al-Taelim al-Thaanawi al-'Iiedadi. kitab al-Tilmidh. Approved by the Ministry of National Education and Higher Education and Training of Cadres and Scientific Research. National Education Sector. Casablanca: Altabeat Al'uwlaa.

Mohammed Mustafa al-Qabaji. (1997). *Al-Tifl al-Maghribi Wa'asalib al-Tanshiat al-Ajtimaeiat bayn al-Hadathat wa al-Taqlid*. Dafatir Fi Al-Aarbiat. Volume 3. Rabat: Manshurat Ramsis.

Ministry of National Education and Higher Education and Training of Cadres and Scientific Research. (2006). al-Muntadaa al-Watani Lil'iislah: al-Muktasabat Wal'afqa. Casablanca: Al-Daar al-Bayda'.

Al-Majlis al'-Elaa liltarbiat wa al-Takwin wa al-Bahth al-Eilmi. (May 2015). *Min 'Ajl Madrasat al-'Iinsaf Waljawdat Walairtiqa'i,* Ruyat al-Istiratijiat Lil'iislah 2015-2030.